الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذهِ هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافِعة* أمَّا المباحثاتُ الهَذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافِعةٍ وباطِلةٌ* ورجلُ البِدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلكَ قد اعتَسَفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسهِ على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولسَ لأنّي قد عَزَمْتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتَهِدْ في تشييعهما متأهِّبين لئلَّا يُعوِزهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ

عالميّة البشارة عند الرسول لوقا

في الثامن عشر من شهر تشرين الأوّل تعيّد كنيستنا المقدّسة للرسول الإنجيلي لوقا. اعتبر التقليد الكنسيّ أن لوقا «الطبيب الحبيب» تلميذ بولس (كول٤: ١٤) هو مؤلّف الإنجيل الثالث، وهو مؤلّف كتاب أعمال الرسل أيضاً. إنّه إنطاكيّ الوطن. رقد في الربّ عن عمر يناهز الستّ والثمانين سنة. أمّا العلامة المختصّة بأيقونته فهي صورة الثور، ثالث الحيوانات الأربعة الرمزيّة التي رآها حزقيال النبي (١: ١٠).

بالإضافة إلى كونه أحد الإنجيليّين الأربعة الذين اعترفت الكنيسة بكتاباتهم، متى ومرقس ويوحنّا، اعتُبر الإنجيليّ لوقا أوّل مؤرّخ كنسي لأنه اعتمد الأسلوب التأريخي في نقله بشرى الخلاص الذي حقّقه الرب يسوع بموته على الصليب (الإنجيل)، وفي نقله عمل الروح القدس في الكنيسة بعد قيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات (أعمال الرسل). لذلك يمكننا القول إنه كتب تاريخ الخلاص.

واجهت الكنيسة الأولى مشكلة مفهوم شعب الله الذي كان فارضًا ثقله على الشعب اليهودي، هذا الشعب الذي كان يعتبر نفسه مميّزًا عن سائر أمم الأرض. ومع أنّه ظلّ وقتًا طويلاً من الزمن تحت حكم الشعوب الأخرى (البابليين والفرس واليونانيين والرومان)، إلاّ أنّه كان ينتظر الملك الممسوح من الله، المسيّا، الذي سيخلّصه من احتلال الشعوب الأخرى لأرضه ويبسط سلطته على الأرض التي وعده بها الله.

العدد ٢٠١٤/٤١

الأحد ١٢ تشرين الأول

أحد آباء المجمع المسكوني السابع

تذكار الشهداء بروفوس وطاراخوس وأندرونيكوس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

غير أنّ الكنيسة لم تكن الوحيدة التي واجهت هذا المفهوم الخاطئ. فالأنبياء قبلها، في العهد القديم، حاولوا جاهدين أنّ يُفهموا هذا الشعب الغليظ الرقاب أنّ اختيار الله لهم لم يكن بسبب خصائلهم الحميدة أو قوّتهم الخارقة، بل لمجرّد إرادته. لا بل إنّ كلّ الأمم الأخرى هي شعبه: «ألستم لي كبني الكوشيّين يا بني إسرائيل، يقول الرب؟ ألم أُصعد إسرائيل من أرض مصر، والفلسطينيّين من كفتور، والآراميّين من قير؟» (عاموس٩: ٧). وهو إله كلّ الأمم ويبسط سلطته على كلّ الأرض: «في سنة وفاة عزيّا الملك، رأيت السيّد جالسًا على كرسيّ عالٍ ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه، لكلّ واحد ستّة

أجنحة، باثنين يغطّي وجهه، وباثنين يغطّي رجليه، وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: قدّوس، قدّوس، قدّوس ربّ الجنود. مجده ملء كلّ الأرض» (أشعياء٦: ١-٣). أمّا مدينة الله أورشليم فهي صورة عن أورشليم السماويّة التي سيجتمع فيها كلّ الأمم في يوم الرب، ليسلكوا بحسب شريعته ويسيروا في هديه: «ويكون في آخر الأيّام أنّ جبل بيت الربّ يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كلّ الأمم. وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: هلمّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبله. لأنّه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الربّ. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمّة على أمّة سيفًا، ولا يتعلّمون الحرب في ما بعد» (أشعياء٢: ٢-٤).

الله لا يميّز بين إنسان وآخر، وبين شعب وآخر، بل دعوته مفتوحةٌ للكلّ، وهذا ما علّمنا إيّاه بواسطة أنبيائه، وفي آخر الأيّام كلّمنا في ابنه ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح. وقد نقل لنا الرسل هذا التعليم كلّ على طريقته وبأسلوبه الخاص، كما فعل الأنبياء قديمًا. ففي إنجيل متّى يدعو الربّ يسوع تلاميذه إلى تبشير كلّ الأمم (متى٢٨: ١٩)، وفي إنجيل مرقس يعترف قائد المئة بأنّ يسوع هو ابن الله (مر١٥: ٣٩)، وفي إنجيل يوحنّا يذهب الربّ إلى السامريّين الذين يعترفون بأنّه المسيح مخلّص العالم (يو٤: ١-٤٢).

هكذا يبرز لوقا الإنجيلي، على طريقته أيضًا، عالميّة البشرى بالخلاص التي أعلنها لنا الربّ يسوع. فسلالة الربّ يسوع مثلًا تعود إلى آدم ابن الله، أي تشمل كلّ الشعوب (٣: ٢٣-٣٨). كما أنّ أورشليم، التي هي صورة أورشليم السماويّة، التي سيجتمع إليها كلّ الأمم في يوم الرب، تلعب دورًا أساسيًّا في إنجيل لوقا، إذ إنّ الرب يلتقي تلاميذه بعد قيامته في أورشليم، ومنها تنطلق البشارة إلى كلّ المسكونة، وينال التلاميذ الروح القدس فيها: «وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألّم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، بدءاً من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. وها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوّة من الأعالي» (لوقا ٢٤: ٤٦-٤٩)، «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب ... لكنّكم ستنالون قوّة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أعمال١: ٤-٨). وفي أورشليم أيضًا يجتمع الرسول بولس بأعمدة الكنيسة، بطرس ويعقوب ويوحنا، فيؤكّدون على شمول بشرى الخلاص كلّ الأمم (أعمال١٥: ١-٢١). كما أن الله أعلن لبطرس أنّ يذهب إلى كورنيليوس قائد المئة وأن لا يدنّس ما طهّره الله (أعمال١٠: ١٥). وعندما ذهب إلى بيت كورنيليوس «فتح بطرس فاه وقال: بالحقّ أنا أجد أنّ الله لا يقبل الوجوه، بل في كلّ أمّة، الذي يتّقيه ويصنع البرّ مقبول عنده. الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشّر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو ربّ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمِرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النِّعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤-١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكنُ أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَد سِراجٌ ويُوضعُ تحتَ المكيال لكنْ على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناس ليَروا أعمالَكم الصالحةَ ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات. لا تظُنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياء، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمِّم* الحقَّ أقول لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقْطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحُلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغارِ ويُعلّمُ الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ

السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

«أما الخصومات والمماحكات الناموسيّة فاجتنبها، فإنها غير نافعة وباطلة».

عندما تواجه، أو تتذكّر عدوّك، يجب ألاّ تقول: «فعل بي هذا وهذا»، أو: «قال بحقّي هذا»، لأنّك بهذا ستُشعل غضبك وستزيد شعلة غيظك أكثر. إنسَ كلّ الأشياء المحزنة التي سبَّبها لك أو سمعتها منه، وعندما تخطر على بالك من دون إرادتك، اعتبرها من الشيطان لا من قريبك، تذكّر فقط الخير الذي فعله بك مرّة، أو ما قاله لك. بهذه الطريقة، ستمحو العداوة التي تفصلكما بسرعة، وإن لزم الأمر أن تدعوه للنّقاش والاستفسار، فاطرد أولًا الغضب من قلبك وبعد ذلك ابدأ بالتكلّم معه، لأنّك إن كنت غاضباً فإنّك لن تستطيع أن تقول أو تسمع شيئاً صحيحاً. على العكس، إن كنتَ هادئاً الكلّ» (١٠: ٣٤-٣٦).

هذا التعليم الذي وُجِّهَ لليهود، شعب الله، قديمًا، يوجّه لنا اليوم وفي كلّ يوم، نحن المسيحيّين الذين نعتبر أنفسنا شعب الله. وتدعونا الكنيسة، عبر هذا التعليم أن لا ننغلق على أنفسنا فنعتبر أنّ الربّ يسوع المسيح هو لنا وحدنا وأنّنا مميّزون عن سائر شعوب الأرض. لأنّه علينا أن نتذكّر دائمًا أنّ الرب يسوع مات على الصليب، ليس فقط من أجلنا، بل من أجل كلّ العالم، فنسلك بحسب وصاياه ليرى الناس أعمالنا الحسنة ويمجّدوا الآب السماوي (متى٥: ١٦)، ونضع نصب أعيننا مدينة الله التي سيجتمع فيها كلّ الأمم في اليوم الأخير، حيث نكون مع الرب دائمًا.

حرب الأيقونات

رتَّبت الكنيسة المقدسة أنَّه إذا وقع الحادي عشر من تشرين الأول في يوم أحد، نرتل فيه خدمة الآباء القديسين الثلاثمئة والخمسين المجتمعين في المجمع المسكوني السابع في نيقية لمواجهة محاربي الأيقونات سنة ٧٨٧م على عهد تملُّك ايريني وابنها الملك قسطنطين، وإلّا في الأحد الأول بعده. «إن سبعة مجامع الآباء التي انعقدت في أوقات مختلفة، قد ضمَّها إلى قانون واحد ونظمها في سلك حسن البطريرك جرمانوس الجديد، مدوِّناً عقائدهم ومؤيِّداً إياها ومقدِّماً إياهم شفعاء ساهرين للخلاص لدى الرب ورعاةً معه للرعية» (القطعة الأولى لصلاة المساء).

يعرِّف الآباء القديسون الأيقونة بأنها معجم لاهوتي يحوي بداخله كل التعاليم التي يمكن من خلالها أن نتعلَّم العبادة والصلاة والعقيدة، ناقلةً المؤمن عبر لحظات قليلة إلى زمن بعيد. فهي «تصوِّر حقيقة ملكوت الله والخليقة الجديدة بطريقة واضحة وتقدِّم عالم التجلّي والتألُّه، والنور غير المخلوق وتعلن عن شفافية وتجلّي المادة بواسطة اتحاد المخلوق مع غير المخلوق». يقول القديس يوحنا كرونشتادت أنَّه «حينما تتأمَّل في الأيقونة وترى فيها السيد الرب شاخصاً إليك بعينيه فهذه صورة ما هو حادث بالفعل، فالله شاخصٌ إليك الآن وكل أوان بعينيه الفاحصتين الملتهبتين أكثر من الشمس، ولا ينظر لمجرّد النظر، بل يفحص أعماق أفكارك وقلبك».

تصدَّرت في القرن الثامن قضيَّة الصور الدينيَّة واجهة الحياة الكنسيَّة والمدنيَّة، وأصبحت ساحةً لطرح الخلافات حول شخص المسيح وخصائص طبيعته الإنسانيَّة، ونتيجةً لتلك الخلافات قامت مباحثات جدليَّة مدة مئة وعشرين عاماً، عرفت بحرب الأيقونات التي امتدت في أنحاء الإمبراطوريَّة البيزنطية حيث انقسم المجتمع إلى حزبين: فريق يرفض الأيقونات رفضاً قاطعاً وآخر يناصرها ويعلن إكرامه لها.

انقسمت هذه الحرب إلى مرحلتين أساسيتين: الأولى عام ٧٢٦ حين أصدر الإمبراطور لاون الثالث أمره بإنزال الأيقونات، ما أدّى إلى ثورة عارمة جابهها الإمبراطور بحملة من القمع والاعتقالات حتى العام ٧٨٧، يوم أعلنت الإمبراطورة إيريني وقف حملات الاضطهاد، ودعت إلى انعقاد المجمع المسكوني السابع في نيقية، حيث اجتمع الآباء القديسون موفدين من جميع أقاصي المسكونة ودعوا إلى تكريم الأيقونات بالإكرام نفسه الذي

يقابَل به الصليب والأناجيل المقدسة، والثانية بين عامي ٨١٥ و٨٤٣ حين شنَّ لاون الخامس هجوماً عنيفاً على الأيقونات فردّته الإمبراطورة ثيودورا فعُدَّ هذا الانتصار نهائياً ويعيَّد له في الأحد الأول من الصوم (أحد الأرثوذكسية). وقد أوضح الآباء موقفهم بما يلي: «نقرِّر بكل دقة وبعد فحص شامل أنه، وعلى مثال الصليب الكريم المحيي، يجب وضع الأيقونات الكريمة والمقدسة المصوّرة بالألوان أو المصنوعة من حجارة صغيرة (الفسيفساء) أو من مادة أخرى لائقة، في كنائس الله المقدَّسة وعلى الأواني المقدَّسة والحلل الكهنوتية وفي المنازل، ونخصُّ بكلامنا أيقونة ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وأيقونة سيدتنا والدة الإله، وأيقونة الملائكة القديسين وكل الأبرار المكرَّمين، لأنه بقدر ما ينظر المرء إلى هذه الصور يتذكر من تمثّل ويشعر نحوهم بمحبة متزايدة وميل إلى اقتفاء أثرهم، دون أن يقدِّم للأيقونة العبادة الفائقة التي لا تحق، بحسب إيماننا، إلّا للطبيعة الإلهيَّة وحدها، بل تُكرَّم إكرام الصليب الكريم المحيي بتقدمة البخور وإنارة الشموع. إن إكرام الأيقونة يعود إلى الشخص الذي تمثله، ومن يكرّم الأيقونات يكرّم الشخص الممثَّل بها، هذا هو تعليم آبائنا القديسين وهذا تقليد الكنيسة المقدَّسة الجامعة التي نشرت الإنجيل في أطراف العالم».

ومن أبرز الذين دحضوا محاربي الأيقونات، نذكر القديس يوحنا الدمشقي (٤ كانون الأول) الذي رتَّب بحثاً لاهوتياً، استند إليه المجمع المسكوني قائلاً: «إذا كان تصوير الله قد مُنع من كنيسة العهد القديم فهذا المنع لا يخصّ كنيسة العهد الجديد، عندما قَبِلَ اللهُ ذاته طبيعة بشرية وعاش على الأرض كإنسان»، «بما أن غير المنظور قد صار منظوراً بتجسده، يمكنكم تصوير من صار مرئياً. يمكنكم تصوير مخلّصي، ولادته من العذراء، معموديته في الأردن، تجلّيه على جبل ثابور، آلامه، صليبه، قيامته، وصعوده. عبّروا عن كل هذا بالألوان كما عبّرتم عنه بالكلمات، لا تخشوا شيئاً، إننا نعرف الفرق بين الأوثان والصور»، «نحن لا ننحني للخشب كخشب، لكننا نجلّ ذاك الذي مات على الصليب وننحني أمامه... حينما تكون خشبتا الصليب مضمومتين فإنني أسجد لشكلهما بسبب المسيح الذي عُلّق على الصليب، أما إذا تفككت الخشبتان فإنني أرميهما وأضرم النار فيهما».

إن تكريمنا لأيقونات السيد ليس سوى تعبير عن شكرنا له إذ تجسّد وأظهر بشخصه صورة الآب السماوي، ولأنّ القديسين هم متّحدون بالمسيح فيليق بهم كل تكريم لأننا بذلك نكرّم من أعطاهم النعمة والقداسة. لقد وُجدت الأيقونة كعلامة لتجديد صورة الله في الإنسان. يقول القديس يوحنا الدمشقي عن فاعلية الأيقونات المقدسة: «إن لم يكن لدي كتب أذهب إلى الكنيسة، فإن الرسوم تجعلني مفتوناً كما تفعل الأرض المزهرة، فتُحرّك مجد الله في روحي».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

فلا أنت ستتفوّه بكلامٍ سيِّئ ولا ستسمع الآخرين يجيبونك بالإهانات. كما ترى، لا تُغيظنا مثل هذه الكلمات عادةً بقدر ما تُغيظنا الأفكار المسبقة عن العداوة التي نشعر بها نحو الآخر. فكما أنّنا في الليل لا نعرف صديقنا حتى ولو كان بالقرب منّا، أمّا في النهار فنعرفه حتى ولو رأيناه من بعيد، هكذا عندما نكون غاضبين من أحد، فإنّنا نقف أمامه ونسمعه بنيّة سيِّئة، لكن عندما نطرد الغضب من داخلنا حينئذٍ يبدو لنا شكله محبَّباً وأقواله مُفرحة.

لنبحث الآن في الحالة التي يؤنّبك فيها عدوّك ــ لأنّها مألوفة أكثر ــ بسبب عيبٍ فعليّ فيك أو لخطأ ارتكبته حقًّا. إن استمعت له من دون أن تغضب أو تشتمه أو تهينه، بل تنهّدت بمرارة وطلبت إلى الله أن يسامحك، فإنّك تتخلّص من خطيئتك في الحال.

القديس يوحنا الذهبي الفم